المحاضرة الخامسة: مضامين شعر الشيعة في العصر الأموي

تمهيد:

يشكل الشعر الشيعي في العصر الأموي مجالا تتجلى فيه موضوعات ذات صلة بالسياسة والمعتقدات التي عرف بها شعراء الشيعة ومن معهم ممن تشيعوا للإمام علي بن أبي طالب؛ وهذا ما يفسره الدكتور قصي الحسين، في قوله: "يتصل الشعر الشيعي اتصالا مباشرا بنشاط الشيعة السياسي. فكل منها يصدر عن عقيدة سياسية، تنادي بأن الخلافة وإمامة المسلمين، حق لآل البيت وحدهم وهذا الحق عدا عليه بنو أمية واغتصبوه اغتصابا ولهذا فقد تعبد الشيعة بحب آل البيت. وتمكن هذا الحب من قلوبهم، فصار كأنه ركن من أركان الإسلام، لأنهم اعتقدوا أن حب علي وآل علي مظهر من مظاهر حبهم لله تعالى"[1].

2- حزب الشيعة:

حزب الشيعة واحد من الأحزاب السياسية المعارضة لبني أمية وحكمهم، وهو من أخطرها على الإطلاق، كما يصفه الدكتور إحسان النص بكونه من: "أخطر الحركات التي ظهرت في العصر الأموي. وكانت النواة الأولى لظهور فكرة التشيع لعلي قد وجدت منذ وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام، حين رأت طائفة من الصحابة أن عليا أولى الصحابة بتولي الخلافة، وكان من هؤلاء سلمان الفارسي وأبو ذر الغفاري والمقداد بن الأسود الكندي"[2].

لكن الفئة التي رأت بهذا الرأي لم تفلح في أخذ البيعة لعلي كرم الله وجهه إلا بعد مقتل "عثمان بن عفان" رضي الله عنه، فيما عرف "بفتنة عثمان". وقد كان "لابن سبأ" اليهودي دور كبير في نشر هذا الحزب وعقائده اتجاه علي، الذي اختار الكوفة مقرا لخلافته، "وبعد أو بويع علي بالخلافة اختار الكوفة مقرا له، وعاصمة لخلافته، وشايعه الكثير من العراقيين، وصارت العراق وخاصة الكوفة موئلا للشيعة"[3].وقد كان عبد الله بن سبأ وراء إقبال أهل العراق على فكرة التشيع، الذي أصبح عقيدة بالنسبة لهم. يدافعون عنها دفاعا مستميتا في خطبهم ومنابرهم.

وكان الشعر في هذه الفترة على علاقة وطيدة بهذه الأحداث السياسية يتفاعل معها، يؤثر فيها، ويتأثر بها، فالشعر الشيعي "يتصل اتصالا مباشرا بنشاط الشيعة السياسي. فكل منهما يصدر عن عقيدة سياسية، تنادي بأن الخلافة وإمامة المسلمين، حق لآل البيت وحدهم"[4]. وكان أتباع هذا الحزب من الشيعة يخالفون بني أمية أشد الخلاف ويرون أن بني أمية ليسوا أحق بالخلافة من آل البيت، وأنهم

---

[1]- قصي الحسين: تاريخ الأدب العربي –العصر الأموي، ط12، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، 1998، ص09.

[2]- إحسان النص: الخطابة العربية في عصرها الذهبي، ص50.

[3]- زكريا عبد المجيد النوتي: الأدب الأموي تاريخه وقضاياه، ص16.

[4]- قصي الحسين: تاريخ الأدب العربي في العصر الأموي، ص81.

اغتصبوا حق آل البيت في الخلافة، "وإزاء ذلك كله اندفع شعراء الشيعة يعلنون مواقفهم السياسية تأييدا وانتصارا للأئمة واستنكارا للأمويين وسياستهم التي أخذوا بها الهاشميين وأنصارهم"[1].

وقد اشتهر عدد غير قليل من شعراء الشيعة منذ مقتل علي ابن أبي طالب على يد عبد الرحمان بن ملجم، وكذلك بعد مقتل الحسن والحسين وأبنائهما أيضا، ومن أهم الشعراء، أبو الأسود الدؤلي، والكميت بن زيد الأسدي، وكثير عزة، وغيرهم. على أن هؤلاء الشعراء هم الأبرز في العصر الأموي.

ويؤكد الدكتور غازي طليمات أن حزب الشيعة قد كتب له الاستمرار وتهيأت له الأسباب السياسية والفنية أكثر من غيره من الأحزاب زمن بني أمية، فيقول:" لم يتح لحزب من الأحزاب السياسية الإسلامية ما أتيح لحزب الشيعة من الاستمرار والانتشار، ولم يحظ حزب من الأحزاب الإسلامية في عصر بني أمية وفي العصور التي تلته بما حظي به هذا الحزب من الشعر الكثير المقادير، المتعدد المعاني والمرامي. ولم يفز زعماء حزب من الأحزاب بما فاز به أئمة الشيعة من إجماع المسلمين على حبهم وتقديرهم"[2].

وفيما يلي بعض القضايا السياسية والاتجاهات الفنية التي عالجها شعراء الشيعة، وهي:

1- حب آل البيت:

يحظى آل البيت بمكانة سامية في قلوب المسلمين جميعا، غير أن الشعراء قد أحبوا آل البيت، وعبروا عن ذلك بقصائد شعرية تبرز مكانتهم، وعظم منزلتهم. ومن الشعراء الذين نظموا في هذا الاتجاه، نجد الفرزدق، وأبو الأسود الدؤلي، ابن مفرغ الحميري.

يقول أبو الأسود الدؤلي[3]:

أُحِـــبُّ مُحَمَّـــداً حُبّـــاً شَـــديداً ... وَعَبّاســـاً وَحَمـــزَةَ وَالوصِـــيّا

أُحِـــبُّهُمُ لِحُـــبِّ اللَـــهِ حَتّـــى ... أَجـــيءَ إِذا بُعِثـــتُ عَلـــى هَوِيّـــا

هَـــوىً أُعطيتُـــهُ لَمّـــا اِســـتَدارَت ... رَحـــى الإِســـلامِ لَـــم يَعـــدِل سَـــويّا

يَقـــولُ الأَرذَلـــونَ بَنـــو قُشَـــيرٍ ... طَـــوالَ الـــدَهرِ لا تَنســـى عَليّـــا

بَنـــو عَـــمِّ النَبِـــيِّ وَأَقرَبـــوهُ ... أَحَـــبُّ النـــاسِ كُلِّهِـــمُ إِلَيّـــا

فَـــإِن يَـــكُ حُـــبُّهُم رُشـــداً أُصِـــبهُ ... وَفـــيهِم أُســـوَةٌ إِن كـــانَ غَيّـــا

وكان بنو قشير من مناصري عثمان بن عفان، "وكان أبو الأسود نازلا فيهم، فكانوا يرمونه بالليل، فإذا أصبح شكا ذلك، فشكاه مرّة، فقالوا له: ما نحن نرميك، ولكن الله يرميك! فقال: كذبتم والله، لو كان الله يرميني لما أخطأني"[4].

أما الشاعر حرب بن المنذر بن الجارود، فيقول في حب آل البيت[1]:

---

[1]- قصي الحسين: تاريخ الأدب العربي في العصر الأموي ، ص81.

[2]- غازي طليمات وعرفان الأشقر: الشعر في العصر الأموي، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2008، ص596

[3]- أبو العباس المبرد: الكامل في اللغة والأدب، تح عبد الحميد هنداوي، وزارة الأوقاف السعودية، 1998، ج3، ص ص42-43.

[4]- المصدر نفسه، ج3، ص43.

فحسبي من الدنيا كفاف يقيمني وأثواب كتان أزور بها قبري
وحبّي ذوي قربى النبي محمد فما سألنا إلّا المودة من الأجر

من أهم خصائص هذا النوع من الشعر السياسي الشيعي "أنه استطاع أن يعكس بكل صدق حبه لآل البيت، مما جعله يسيل عاطفة مخلصة صادقة"[2].

وسمع عمّال خالد بن عبد الله القسري يلعنون عليا والحسين على المنابر، فرد عليهم، وقال:[3]

لعن الله من يسبّ عليا وحسينا من سوقة وإمام
أيسبّ المطيبون جدودا والكرام الأخوال والأعمام
يأمن الظبي والحمام ولا يأ من آل الرسول عند المقام
طبت بيتا وطاب أهلك أهلا أهل بيت النبي والإسلام
رحمة الله والسلام عليهم كلما قام قائم بسلام

وقال حين عابوه بذلك الرأي: [4]

إن أمرأ أمست معايبه حبّ النبي لغير ذي ذنب
وبني أبي حسن ووالدهم من طاب في الأرحام والصلب
أيعدّ ذنبا أن أحبهم بل حبهم كفّارة الذنب

ويعد الدكتور عرفان الأشقر حب آل البيت شرفا وتطهيرا للقلب، فيقول:"ولم يجد عبد الله بن كثير السهمي في حب آل البيت، أصولا وفروعا، حرجا أو غضاضة، وإنما وجد فيه تطهيرا للقلب، وتكفيرا عن الذنب وتقربا إلى الله الذي خص هذه الأسرة بالشرف والطهارة"[5].

ويختلف آل البيت في مكانتهم عند الشعراء والمادحين، يقول الدكتور غازي طليمات:"ولم يكن آل البيت سواسية في حظوظهم من حب الشعراء وإكبارهم، وربما كان علي والزهراء وولداهما الحسن والحسين أحب الناس إلى قلوب الشعراء، فعلي ربيب النبي صلى الله عليه وسلم وصهره، وفاطمة أكرم نساء العرب، والحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة أصابا شرف الوالدين ما لم يصب أحد سواهما؛ ومن رسول الله ما مكنهما من امتطاء كتفيه ومتنه، وهو ساجد بين يدي ربه"[6] ؛ يقول السيد الحميري: [7]

أتى حسنا والحسين النبي وقد جلسا حجرة يلعبان

---

[1]- الجاحظ: البيان والتبيين، تح عبد السلام هارون، (ط7)، مكتبة الخانجي بالقاهرة، 1998، ج3، ص365.

[2]- قصي الحسين: العصر الأموي، ص83.

[3]-الجاحظ: البيان والتبيين،(ط7)،تح عبد السلام هارون، متكبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر،1998، ج03، ص360.

[4]-الجاحظ: البيان والتبيين، ج03، ص360. .

[5]- غازي طليمات وعرفان الأشقر: الشعر في العصر الأموي، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2008، ص598

[6]- غازي طليمات وعرفان الأشقر: الشعر في العصر الأموي، ص599.

[7]- السيد الحميري: ديوان السيد الحميري، تحقيق هادي شاكر شكر، المكتبة الحيدرية، بغداد،العراق،1432ه، ص 435.

ففـــــداهما ثـــــم حياهمـــــا وكانـــا لديـــه بـــذاك المكـــان
فراحـــــا وتحتهمـــــا عاتقـــــاه فـــــنعم المطيـــــة والراكبـــــان
وليـــــدان أمهمـــــا بـــــرة حصـــــان مطهـــــرة للحصـــــان
وشـــيخهما ابـــن أبـــي طالـــب فـــنعم الوليـــدان والوالـــدان
خليلـــــي لا ترجيـــــا وأعلمـــــا بـــأن الهـــدى غيـــر مـــا تزعمـــان

حيث يصور للقارئ سبطي النبي صلى الله عليه وسلم وهمل يلعبان معه، ويشيد بأمهما فاطمة الزهراء ووالدهما علي بن أبي طالب، ويعلي بآل بيت النبي عليه الصلاة والسلام .

2- الاحتجاج لعقيدة الشيعة وهجاء خصومهم:

إذا كان للحزب الأموي الحاكم شعراؤه المدافعون عنه، والمؤيدون له في الحكم، فإن لآل البيت (الهاشميون) شعراؤهم أيضا، و"يعد الكميت أبرز شعراء الهاشميين في الدولة الأموية وأغزرهم شعرا، وأشدهم تفانيا في حب آل النبي، وقصائده المعروفة بـ : "الهاشميات" نموذج لهذا اللون الفريد من الشعر السياسي الذي يتدفق من عاطفة جياشة بحب صادق"[1]. والكميت بن زيد الأسدي من شعراء الكوفة، مهد التشيع لآل البيت، في صراعهم المرير مع بني أمية، "وقد شهدت الكوفة في أثناء ثورة زيد بن علي شاعرا كبيرا من شعراء الشيعة جعل من شعره لسانا للزيدية يعبر به عن مبادئها وهقائدها، وهو يحتج لها ويدافع عنها وهو الكميت"[2] وقد اشتهر دون غيره من شعراء العراق الذين يئسوا من الحياة السياسية نتيجة لإخفاق الثورات التي قاموا بها في حربهم مع الدولة الاموية، فقد فشلت ثورة ابن الأشعث التي كانوا يعلقون عليها أملا كبيرا في خلع الخلافة من بني أمية، "ولهذا لن يكون غريبا على أحد أن نجد شعراء الكوفة ينفضون أيديهم من السياسة ومتاعبها، ويلقون فنهم وراء ظهورهم يأسا من الحياة السياسية التي تمر بهم، لأن نفوسهم لم تعد فيها بقية من أمل أو ومضة من رجاء"[3].

ويمكن أن نشير إلى مسألة مهمة في قضية الشعر السياسي عند الكميت، وهي أنه مرّ بمرحلتين؛ كان الكميت في الأولى متخاذلا في نصرة زيد بن علي، حيث رفض الخروج معه. وفي المرحلة الثانية نجد أنه لم يتوقف عن نظم الشعر في مناصرة آل البيت والدفاع عن حقهم في الخلافة رغم صمت الكثير من شعراء عصره[4].

غير أن الكميت ندم على هذا عندما قتل زيد بن علي، وراح يعبر عن ندمه وأسفه[5]:

دعـــاني ابـــن الرســـول فلـــم أجبـــه ألهفـــي لهـــف للقلـــب الفـــروق

---

[1]- عبد القادر القط: في الشعر الإسلامي والأموي، (د. ط)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1987، ص278.

[2]- ينظر: يوسف خليف: حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني للهجرة، (ط2)، المجلس الأعلى للثقافة،

[3]- المرجع نفسه، ص 420.

[4]- يوسف خليف: حياة الشعر في الكوفة، ص420.

[5]- أحمد بن ابراهيم القيسي: شرح هاشميات الكميت بن زيد الأسدي، تحقيق نوري حمودي القيسي وداوود سلوم، (ط2)، مكتبة النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1986، ص204، 205.

حـــــذار منيـــــة لابـــــد منهـــــا وهـــــل دون المنيـــــة مـــــن طريـــــق
دعـــــاني ابـــــن النبـــــي فلـــــم أجبـــــه ألهفـــــي لهـــــف للـــــرأي الغبـــــين
فيـــــا نـــــدما غـــــداة تركـــــت زيـــــدا ورائـــــي لابـــــن آمنـــــة الأمـــــين

ويعلق الدكتور يوسف خليف على الكميت بقوله: "إنه تخلف عن نصرة زيد حرصا على الحياة وخوفا من الموت (...) وأنه أصبح يعاني حسرة ولهفة وندما. وهو في هذا صورة من شخصية مدينته السياسية، إنها شخصية ينقصها كثير من روح التضحية والفدائية"[1]. ومن المعلوم أن: "زيد بن علي كان يطمح إلى الخلافة كما طمح إليها جده الحسين، فكان يبث دعاته في الكوفة، وكان الكميت من أكبر هؤلاء الدعاة، فهو الشاعر الذي تكفل بالدعوة لزيد شعرا"[2]. اشتهر الكميت بهاشمياته في مدح آل البيت، وهو مدح سياسي. ولعل أفضل قصيدة منها بائيته التي عرضها على الفرزدق في البصرة، "فقال له: يا أبا فراس إنك شيخ مضر وشاعرها، وأنا ابن أخيك، الكميت بن زيد الأسدي. قال له: صدقت، أنت ابن أخي فما حاجتك؟ قال: نُفِثَ على لساني فقلت شعرا، فأحببت أن أعرضه عليك، فإن كان حسنا أمرتني بإذاعته، وإن كان قبيحا أمرتني بستره وكنت أول من ستره عليّ. فقال الفرزدق: أما عقلك فحسن، وإني لأرجو أن يكون شعرك على قدر عقلك فأنشدني ما قلت. فأنشده:

طربـــــت ومـــــا شـــــوقا إلـــــى البـــــيض أطـــــرب

قال: فقال لي: فيما تطرب يا ابن أخي؟ فقال:

ولا لعبـــــا منّـــــي وذو الشـــــيب يلعـــــب

قال: بلى يا ابن أخي، فالعب فإنك في أوان اللعب، فقال:

لـــــم يلهنـــــي دار ولا رســـــم منـــــزل

قال: فما يطربك يا ابن أخي، فقال:

ولا الســـــانحات البارحـــــات عشـــــيته

فقال: أجل، لا تتطير، فقال:

لكـــــن إلـــــى أهـــــل الفضـــــائل والنُّهـــــى

فقال: ومن هؤلاء ويحك؟ فقال:

إلـــــى النّفـــــر البـــــيض الـــــذين بحـــــبهم

فقال: أرحني ويحك من هؤلاء؟ فقال:

بنـــــي هاشـــــم رهـــــط النبـــــي فـــــإنني

---

[1]- يوسف خليف: حياة الشعر في الكوفة ، ص421.

[2]- شوقي ضيف: التطور والتجديد في الشعر الأموي، (ط11)، دار المعارف، القاهرة، مصر، 2007، ص272.

فقال له الفرزدق: أذع أذع يا ابن أخي، أنت والله أشعر من مضى وأشعر من بقى[1]. وهذا الحكم النقد الذي صدر عن أكبر نقاد عصره، وهو الفرزدق، لم يكن ليمنح للكميت هكذا، ودون اعتبار، إلا لكونه قد بلغ مكانة كبيرة في الشعر، فالهاشميات "من أعظم الدرر اللوامع في الشعر العربي، وأن شعر الكميت يسمو بها على شعر غيره وقد أجاد في مدح بني هاشم وأحسن في الدعاية لهم، وصور حكم بني مروان أشنع تصوير، فألهب بها النفوس إلهابا، وأيقظها من غفلتها إيقاظا، حتى هبت للثورة عليه"[2].

وفي هذه الهاشمية يبين موقفه السياسي من قضية الحكم، ويدافع عن حق الهاشميين فيه، فيقول[3]:

يَقُولُـــونَ لَـــم يُـــورَث وَلَـــولا تُرَاثُـــه ... لَقَـــد شَـــرِكَت فِيـــهِ بَكِيـــل وأرحَـــبُ

وعَـــكٌّ ولَخـــمٌ والسَّـــكُونُ وحِميَـــرٌ ... لَقَـــد شَـــرِكَت فِيـــهِ بَكِيـــل وأرحَـــبُ

وَلا كَانَـــتِ الأنصَـــارُ فِيهَـــا أذِلَّـــةً ... وَلاَ غُيّبَـــاً عَنهـــا إذَا النَّـــاسُ غُيَّـــبُ

هُـــمُ شَـــهِدُوا بَـــدراً وخَيبَـــرَ بَعـــدَها ... ويـــــومَ حُنَـــــين والدِّمَاءُتَصَـــــبَّبُ

فَـــإن هِـــيَ لَـــم تَصـــلُح لِحَـــي سِـــوَاهُمُ ... فَـــإن ذَوِي القُربَـــى أحَـــقُّ وأقـــرَبُ

وقد مضى الكميت في هاشميته على هذا النحو من الميل إلى بني هاشم، والجهر بأحقيتهم بالخلافة على بني أمية. وقد اتسم شعره فيهم بمجموعة من السمات الفكرية تطرق إليها الدكتور شوقي ضيف، أذكر منها[4]:

– إن الكميت يُصدر عن ذوق جديد غير معروف قبله، وهو ذوق عقلي، فهو لا يعبر فقط عن الشعور والعواطف وإنما يعبر عن الفكر.

– تصويره للتطور الذي أصاب العقل العربي فهاشميته حجاج وجدال في مسألة الهاشميين.

– هاشميات الكميت مناظرات في حقوق الهاشميين، وهي مناظرات لا تعتمد على الإقناع العاطفي.

– وبهذا فإن الهاشميات جديدة في اللغة العربية، فالشعر فيها يتصل بمنابع عقلية جديدة.

– إنها تؤرخ لنزعة عقلية جديدة.

– الهاشميات ليست مقالة شيعية عامة، وإنما هي مقالة زيدية.

– لم يجد الشعر العربي بمثل ما جاء في الهاشميات من حب آل البيت والدعوة بهم.

3– شعر البكاء (موضوع الرثاء):

على إثر اشتعال النزاع السياسي بين الحزب الشيعي وحزب بني أمية، "ظهر عند شعراء الشيعة نوع آخر من الشعر المتصل بأدب المراثي عند العرب، ولكنه كان يتصف بالعاطفة التي تتفجر حزنا

---

[1]- عبد القادر البغدادي: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تح عبد السلام هارون، (ط4)، مكتبة الخانجي بالقاهرة، مصر، 1997، ج4، ص315-316.

[2]- مأمون بن محي الدين الجنان: الكميت بن زيد الأسدي الشاعر السياسي، (د. ط)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1993، ص99، 100.

[3]- أحمد القيسي: شرح هاشميات الكميت بن زيد الأسدي، ص60 وما بعدها.

[4]- شوقي ضيف: التطور والتجديد في الشعر الأموي، ص276.

وبكاء والتياعا وتفجعا على شهداء أهل البيت من الهاشميين، الذين لاقوا مصرعهم على يد الأمويين أثناء الأحداث والثورات الدّامية والتي دارت فيما بينهم"[1]. ومنذ مقتل الخليفة لي بن أبي طالب، والشعراء يبكون عليه، بحرقة شديدة، وكان أبو الأسود الدؤلي، "من أشهر شعراء الشيعة الذين بكو الإمام علي بعاطفة صادقة، مليئة بالحزن على سقوط الإمام والسخط من القتلة والشامتين"[2]، بكا أبو الأسود عليا، فقال: [3]

ألا أبلـــغ معاويـــة بـــن حـــرب ... فـــلا قـــرّت عيـــون الشـــامتينا
أفـــي شـــهر الصـــيام فجعتمونـــا ... بخيـــر النـــاس طـــرّا أجمعينـــا
قتلـــتم خيـــر مـــن ركـــب المطايـــا ... وخيّســـها ومـــن ركـــب الســـفينا
ومـــن لـــبس النّعـــال ومـــن حـــذاها ... ومـــن قـــرأ المثـــاني والمئينـــا
إذا اســـتقبلت وجـــه أبـــي حســـين ... رأيـــت البـــدر راق الناظرينـــا
لقـــد علمـــت قـــريش حيـــث كانـــت ... بأنـــك خيرهـــا نســـبا ودينـــا
فـــلا تشـــمت معاويـــة بـــن حـــرب ... فـــإن بقيـــة الخلفـــاء فينـــا

ورثى محمد بن الحنفية أخاه الحسن بن علي، فحرم على مفرقه العطر لأن مفرق الفقيد أغبر، وشرق بالماء لئلا يطفئ الشرب حزنه، وعاهد نفسه على أن يتفجع عليه ما سجع طائر، وما أورق غصن ثم استسلم لقضاء الله، وأسلم أخاه إلى القبر، فقال:[4]

ولقـــد ســـرى فيمـــا يســـير بليلـــة ... بعـــد العشـــاء بكـــربلاء فـــي موكـــب
لـــيس بينـــي و بـــين قـــيس عتـــاب ... غيـــر طعـــن الكلـــى و ضـــرب الرقـــاب
وإن تســـأليني: كيـــف أنت؟فـــإنّني ... صـــبور علـــى ريـــب الزمـــان، صـــليب
يعـــزّ علـــيّ أن تـــرى بـــي كآبـــة ... فيشـــمت عـــاد، أو يســـاء حبيـــب
فـــإن يـــك نائيـــا فلقـــد نعـــاه ... غـــلام لـــيس فـــي فيـــه التـــراب
مـــا زال إهـــداء القصـــائد بيننـــا ... باســـم الصّـــديق و كثـــرة الألقـــاب
حتّـــى تركـــت، كـــأنّ قولـــك فـــيهم ... فـــي كـــل مجتمـــع طنـــين ذبـــاب
ولســـت بمســـتبق أخـــا لا تلمّـــه ... علـــى شـــعث، أيّ الرجـــال المهـــذّب؟
ولســـت لمـــن لا يحفـــظ العهـــد وامقـــا ... ولا هـــو عنـــد النائبـــات بصـــاحب
ســـأحفظ مـــن آخـــى أبـــي فـــي حياتـــه ... وأحفظـــه مـــن بعـــده فـــي الأقـــارب

---

[1]- قصي الحسين: العصر الأموي، ص86.

[2]-قصي الحسين: المرجع نفسه، ص87.

[3]- ضياء الدين بن الأثير: الكامل في التاريخ،تح أبو الفدا عبد الله القاضي، ط1،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،1987، ج03، ص260

[4]- ضياء الدين بن الأثير: الكامل في التاريخ،تح أبو الفدا عبد الله القاضي، ط1،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،1987، ج03، ص260

أأدهـــن رأســـي أم أطيـــب محاســـني وخـــدّك معفـــور وأنـــت ســـليب
أأشـرب مـاء المـزن مـن غيـر مائـه وقـد ضـمن الأحشـاء منـك لهيـب
ســأبكيك مــا ناحــت حمامــة أيكــة ومــا اخضــرّ فــي دوح الحجــاز قضــيب
غريـــب و أطـــراف الـــديار تحوطـــه ألا كـــلّ مـــن تحـــت التـــراب غريـــب

وقد جعل الشعراء من موضوع الرثاء لشهدائهم وقتلاهم وسيلة للتعريض بخصومهم. وقد كان رثاء محمد بن الحنفية لأخيه الحسن بن علي عاطفيا حارا[1]

4-نشدان الرجعة:

إن من الدعاوى والأماني التي انتشرت في أوساط الشيعة قضية الرجعة، وقد نشرها ابن سبأ اليهودي، "وهي أن الإمام عليا لم يمت، بل إنه سيعود إلى الأرض ليملأها عدلا، وسرعان ما وجدت لها صدى في نفوس أهل الشيعة"[2]؛ وقد أصبحت قضية رجوع الإمام إلى الدنيا ركيزة أساسية في عقيدة أهل التشيع. وكان الشعراء في مقدمة من يحسن التعبير عن هذه المعاني والترويج لها. ولعل أبرز شاعر شيعي صرح بهذا المعنى، "كثير عزة" حيث يقول[3]:

أقـــــرّ الله عينـــــي إذ دعـــــاني أمـــين الله يلطـــف فـــي الســـؤال
وأثنـــى فـــي هـــواي علـــي خيـــرا وســـاءل عـــن بنـــي وكيـــف حـــالي
هـــو المهـــدي خبّرنـــاه كعـــب أخـــو الأحبـــار فـــي الحقـــب الخـــوالي

وأما عن أحقية علي وبنيه بالخلافة، فيقول[4]:

ألا إن الأئمـــــة مـــــن قـــــريش ولاة الحـــــق أربعـــــة ســـــواء
علـــــي والثلاثـــــة مـــــن بنيـــــه همـــــا الأســـــباط لـــــيس بهـــــم خفـــــاء
فســـــبط ســـــبط إيمـــــان وبـــــر وســـــبط غيبتـــــه كـــــربلاء
وســـــبط لا يـــــذوق المـــــوت حتـــــى يقـــــود الخيـــــل يتبعهـــــا اللـــــواء
تغيـــــب لا يـــــرى فـــــيهم زمانـــــا برضـــــوى عنـــــده عســـــل ومـــــاء

وقد جعل كثير من أبناء علي أسباطا ماتوا جميعا ماعدا سبط واحد هو ابن الحنفية الذي تغيب، وسوف يعود. ويقول ابن عساكر في كتابه: "تاريخ مدينة دمشق"، عندما روى هذه الأبيات: "فقال له علي بن عبد الله: يا أبا صخر ما يثنى عليك في هواك خيرا إلا من كان على مثل ذلك، فقال أجل، بأبي أنت،

---

[1]- ينظر، باسم عبود الياسري: أشعار أهل اليمن في العصر الأموي،ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت، لبنان، 2005 ، ص112.

[2]- قصي الحسين: العصر الأموي، ص88.

[3]- كثير عزة: ديوان كثير عزة، شرح. إحسان عباس، (د. ط)، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1971، ص232.

[4]- ابن قتيبة: عيون الأخبار، (د. ط)، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، 1925، ج4، ص144.

قال: وكان كثير خشبيا يرى الرجعة"[1]. وسبب اقتناع الشاعر بهذه الفكرة هو كثرة الفتن العمياء التي أصابت المسلمين في تلك الفترة، يقول الدكتور قصي الحسين: "وما من شك في أن كثرة الأحداث التي كانت تصيب سهامها المسلمين بعامة والشيعة منهم بخاصة، هي التي أنتجت فكرة الرجعة، لأنه لم يعد أمام الناس إلا أن تحلم بالإنقاذ، بعد أن استوى الجميع في الفتنة العمياء"[2]. ومن ثم فإن حكم بني أمية كان كابوسا يخنق المشايعين لآل البيت، ولابد من إزالة هذا الحكم، وانتظار المنقذ الذي يأتي لنصرة الشيعة، وإعادة الخلافة إليهم. غير أن هذه الفكرة ظلت تراود الناس حتى بعد سقوط دولة بني امية. وقد كان كثير عزة شيعيا رافضيا كما يرى ابن قتيبة في كتاب عيون الأخبار[3].

5- التهديد بالثورة:

ما من ثورة إلا ويسبقها ما يمهد لها، وقد كان حب الناس لآل البيت من الطالبيين أحد أسباب بغضهم لمن يسيء إليهم، وقد أشار الدكتور غازي طليمات إلى هذا في قوله:" ترجيح الطالبيين على الأمويين كان يعمل عمله في النفوس، ويعدها لتقبل ما يداخلها من حب وتقدير لآل البيت، وسخط على الأمويين والزبيريين والخوارج وعلى كل من يلحق بهم الأذى أو يضطهدهم ليسلبهم حقهم في تولي الخلافة "[4].

وجاء في كتاب الكامل للمبرد أن عبد الله بن الزبير قد اضطهد ابن الحنفية وسجنه، فقال :"وكان ابن الزبير قد حبس محمد بن الحنفية مع خمسة عشر رجلاً من بني هاشم، فقال: لتبايعن أو لأحرقنكم، فأبوا بيعته. وكان السجن الذي حبسهم فيه يدعى سجن عارم، ففي ذلك يقول كثير:[5]

تخبـــر مـــن لاقيـــت أنـــك عائـــذ بـــل العائـــذ المظلـــوم فـــي ســـجن عـــارم

ومـن يـرَ هـذا الشـيخ بـالخيف مـن مِنـى مـــن النـــاس يعلـــم أنـــه غيـــر ظـــالم

ســـمي النبـــي المصـــطفى وابـــن عمـــه وفكـــاك أغـــلال وقاضـــي مغـــارم

وكان ذلك سببا في ثورة شعراء آل البيت على ابن الزبير نصرة لهم على من عاداهم وإيذانا بثورتهم . يقول الدكتور غازي طليمات:"فراح كثير عزة يسخر من ابن الزبير ومن ادعائه اللجوء إلى الله، ويفضح ما ارتكبه من اضطهاد للهاشميين، ويمدح عليا وأبنائه الذين دأبوا على إقالة العثرات، ودرء المظالم، وإطلاق الأسرى. ثم بشر الأسرى بأحداث أقوى من ابن الزبير تطلقهم من الأسر، وترد إليهم حقهم المغتصب"[6].

---

[1]- ابن عساكر: "تاريخ مدينة دمشق، تح محب الدين العمري، (ط1)، دارالفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 1997، مج 50، ص98.

[2]- قصي الحسين: العصر الأموي، ص90.

[3]- ينظر، ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج4، ص144.

[4]- غازي طليمات وعرفان الأشقر: الشعر في العصر الأموي، ص604.

[5]- أبو العباس المبرد: الكامل في اللغة والأدب،تح عبد الحميد هنداوي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف،المملكة العربية السعودية، 1998 ، ج3، ص 42 -89 .

[6]- غازي طليمات وعرفان الأشقر: الشعر في العصر الأموي، ص604.

يقول الشاعر عبيد الله بن الحر : [1]

سَـــقَى اللَّـــهُ أَرْوَاحَ الَّـــذِينَ تَبَـــادَرُوا ... إِلَـــى نَصْـــرِهِ سُـــقْيًا مِـــنَ الْغَيْـــثِ دَائِمَـــهْ
وَقَفْـــتُ عَلَـــى أَجْـــدَاثِهِمْ وَمَحَـــالِّهِمْ ... فَكَـــادَ الْحَشَـــا يَـــنْقَضُّ وَالْعَـــيْنُ سَـــاجِمَهْ
لَعَمْـرِي لَقَـدْ كَـانُوا مَصَـالِيتَ فِـي الْـوَغَى ... سِـرَاعًا إِلَـــى الْهَيْجَـــا حُمَـــاةً خَضَـــارِمَهْ
تَأَسَّـــوْا عَلَـــى نَصْـــرِ ابْـــنِ بِنْـــتِ نَبِـــيِّهِمْ ... بِأَسْـــيَافِهِمْ آسَـــادُ غِيـــلٍ ضَـــرَاغِمَهْ
فَـــإِنْ يَقْتُلُـــوا فِـــي كُـــلِّ نَفْـــسٍ بَقِيَّـــةً ... عَلَـــى الْأَرْضِ قَـــدْ أَضْـــحَتْ لِـــذَلِكَ وَاجِمَـــهْ
وَمَـــا إِنْ رَأَى الـــرَّاءُونَ أَفْضَـــلَ مِـــنْهُمُ ... لَـــدَى الْمَـــوْتِ سَـــادَاتٍ وَزُهْـــرًا قَمَاقِمَـــهْ
يُقَـــتِّلُهُمْ ظُلْمًـــا وَيَرْجُـــو وِدَادَنَـــا ... فَـــدَعْ خُطَّـــةً لَيْسَـــتْ لَنَـــا بِمُلَائِمَـــهْ
لَعَمْـــرِي لَقَـــدْ رَاغَمْتُمُونَـــا بِقَـــتْلِهِمْ ... فَكَـــمْ نَـــاقِمٍ مِنَّـــا عَلَـــيْكُمْ وَنَاقِمَـــهْ
أَهِـمُّ مِـرَارًا أَنْ أَسِـيرَ بِجَحْفَـلٍ إِلَـى فِئَـةٍ ... زَاغَـــتْ عَـــنِ الْحَـــقِّ ظَالِمَـــهْ
فَكُفُّـــوا وَإِلَّا زِرْتُكُـــمْ فِـــي كَتَائِـــبٍ ... أَشُـــدَّ عَلَـــيْكُمْ مِـــنْ زُحُـــوفِ الدَّيَالِمَـــهْ

وختم القصيدة بالتهديد والوعيد باجتياحهم بجيش ليقاتلهم وينتقم للشهيد المظلوم الحسين بن علي رضي الله عنه.

وأما الكميت فقد كان له رأيه السياسي في تولية المناصب القيادية في الدولة الأموية؛ فقد كان يرى ما يأتيه الأمويون من تولية القادة الأقوياء، فعندما ولى خالد القسري أخاه أسد القسري على مدينة خراسان أرسل إلى أهل مرو من الشيعة يحثهم على الثورة عليه[2]؛ فقال الكميت:[3]

ألا أبـــلغ جماعـــة أهـــل مـــرو ... عـــلى مـــا كـــان مـــن نـــاءٍ وبُـــعدِ
رســـالة نـاصـــح يهـــدي سلامـــاً ... ويأمـــر فـــي الـــذي ركـــبوا بجَـــدِ
وأبـــلغ حارثـــاً عـــنا اعتـــذاراً ... إليـــه بـــأن مـــن قِبـــلي بجُهـــدِ
ولـــولا ذاك قـــد زارتـــك خيـــل ... مـــن المـــصرين بالفرســـان تَـــردى
فـــلا تـهنـــوا ولا تَرضـــوا بخـــف ... ولا يـغـرركـــم أســـد بـعـهـــدِ
وكونـــوا كالبغايـــا إن خـــدعتم ... وإن أقـررتـــم ضـيـمـــاً لوغـــدِ
وإلا فـــارفعوا الرايـــات ســـودا ... عـــلى أهـــل الضـــلالة والتـــعدي
فكيـــف وأنتـــم سبعـــون ألفـــا ... رماكـــم خـــالد بشبيـــه قـــردِ
ومـــن ولـــى بذمتـــه رزينـــا ... وشيعتـــه ولـــم يعـــرف بعهـــدِ
وقـــد غَـــشَّى قضاعـــة ثـــوب ... خِـزْي بقتـل أبـي سَلامَـان بـن سَـعْدِ

---

[1]- شمس الدين بن الجوزي: مرآة الزمان في تاريخ الأعيان وبذيله (ذيل مرآة الزمان) ،تح د. كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان، (د.ت) ، ج5، ص 297 .

[2]- شمس الدين بن الجوزي: مرآة الزمان في تاريخ الأعيان وبذيله (ذيل مرآة الزمان) ، ج7، ص 155 .

[3]- شمس الدين بن الجوزي: مرآة الزمان في تاريخ الأعيان وبذيله (ذيل مرآة الزمان) ، ج7، ص 155 .

فمهـــلك يـــا قضـــاعُ فـــلا تكـــوني توابـــــعَ لا أصـــــول لهـــــا بنـــــجدِ
وكنـــــت إذا دعـــــوت بنـــــي نِـــــزار أتـــــاك الدهـــمُ مـــــن سَبْـــط وجَـــعْدِ
فجـــدِّع مـــن قضاعـــة كـــل أنـــف ولا فـــــازت عـــــلى يـــــوم بمجـــــدِ

وفيما يخص الميزات والخصائص الفنية في شعر الشيعة، فيلخلصها الدكتور قصي الحسين فيما يأتي: [1]

1- اتسم شعر الشيعة بالجدل والبرهنة واعتماد الحجة، وهو أسلوب جديد في الشعر العربي برع فيه الكميت بهاشمياته، على حساب الجانب الفني، مركزا على الموضوع، فاتصف بالخطابية والمباشرة.

2- بروز عاطفة قوية في أشعارهم، وبخاصة غرض البكاء أو الرثاء الذي يدور موضوعه حول حب آل البيت والولاء لهم والإشادة بمناقبهم، أو تلك التي تعبر عن سخطهم على أعدائهم بني أمية.

3- امتزجت العناصر الدينية بالسياسية في الشعر الشيعي، فمحور نظريتهم هي الخلافة. ولذلك أسبغوا عليها كثيرا من الصفات الدينية.

4- تنوع أساليبهم بتنوع أغراضهم فمن أسلوب الجدل، إلى أسلوب التقرير والاحتجاج، إلى أسلوب الثورة والانتقام، إلى مرارة التفجع والبكاء والتحسر على ضياع الحق وأصحابه من أهل البيت، مما جعل شعرهم في البكاء يتسم بالرقة، كما جعل شعرهم في الحرب يتسم بالقوة التي تصدر عن عاطفة الغيظ.

5- لهذه الأسباب وجد فيه النقاد شعرا جديدا، مما جعل ملوك الأمويين يحسدون أئمة الشيعة ونقبائهم عليه. وقد روي ذلك عن الخليفة عبد الملك بن مروان، قوله للشعراء: " تشبهوننا بالأسد والأسد أنجر وبالبحر والبحر أجاج والجبل والجبل أوعر ألا قلتم كما قال أيمن بن خزيم بن فاتك في بني هاشم":[2]

نَهـــــاركمُ مكابـــــدةٌ وصـــــومٌ ولـــــيلكُمُ صـــــلاةٌ واقتـــــراءُ
أأجعلكـــــم وأقوامـــــاً ســـــواءً وبيـــــنكمُ وبيـــــنهمُ الهـــــواء
وهـــــم أرض لأرجلكـــــم وأنـــــتم لأعيـــــنهم وأرؤســـــهم ســـــماء

فقد أدرك الخليفة قيمة المعاني وجدتها في شعر أعدائه من شعراء الشيعة، فطلب من الشعراء الذين يمدحونه أن يختاروا له جديد المعاني. هذه أهم الخصائص الفنية، لأهم الموضوعات والمضامين الواردة في شعر الشيعة.

---

[1]- قصي الحسين: العصر الأموي، ص90.

[2]- أبو هلال العسكري: ديوان المعاني،شرح.أحمد حسن بسج،ط01، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،1994،ج01، ص28.

6- ومن خصائص شعر البكاء أو الرثاء في أدب الشيعة أنه صادر عن قلوب مفعمة بالمحبة والوفاء لعلي، والحزن عليه، وعلى آل البيت لضياع حقهم في تولي الخلافة. وقد كثر بكاء الشعراء على أئمة الشعر، "ومع ذلك فقد جاء متعدد الأهداف والغايات لتنوع المقامات وتعدد المناسبات"[1].

وهو على ثلاثة أوجه أو درجات منها:

أ- الرثاء الصابر المحتسب، الذي مزج بين عواطف الحزن وعواطف السخط.

ب- الرثاء الثائر الغاضب، الذي يقرن الحزن بالتقريع واللوم للقعود عن الحرب.

ج- الرثاء المتفجع الغاضب، والذي يحمل على الخصوم ويهدّدهم ويتوعدهم. ويعد أبو الأسود الدؤلي، من أشهر الشعراء الشيعة الذين بكوا الإمام علي، بعاطفة صادقة، مليئة بالحزن. كما قلنا آنفا.

[1]- قصي الحسين: العصر الأموي، ص87.